قصة مدينتين: القاهرة وسان فرانسيسكو في رواية أمريكانلي لصنع الله إبراهيم دراسة مقارنة

إعداد

د/ سعاد أمين محمد السيد

قسم اللغة العربية–كلية الألسن–جامعة عين شمس

تنتمي الدراسة إلى مجال من مجالات الأدب المقارن وهو" الصورولوجيا " أي الصورة الأدبية .

تتناول الدراسة عناصر بناء الصورة الأدبية من خلال المقارنة بين مدينتي القاهرة وسان فرانسيسكو؛ النشأة و التطور ، التي كانت أحد المحاور الرئيسة في رواية "أمريكانلي" للكاتب الروائي صنع الله إبراهيم . تكشف الرواية صورة كل من المدينتين دون مواربة أو تزييف ، مما يضفي بعدا واقعيا متناغما و البعد الروائي .

يكشف النص الروائي "أمريكانلي " –في نبرة يطغى عليها الهدء بعيدا عن التعصب و الانفعال –الحضور القوي للذات أمام الآخر ، في مكاشفة تفصل تلك العلاقة ، وتضعها في إطارها الصحيح .

قد يتبادر لذهن المتلقي صعوبة المقارنة بين المدينتين ، بيد أن القراءة المقارنة تكشف لنا مظاهر التلاقي بين المدينتين وكذلك نقاط التباعد .

استطاع الكاتب الروائي صنع الله إبراهيم تصوير ملامح كل من القاهرة وسان فرانسيسكو بصورة تبدو مقنعة في كثير من عناصرها ؛ كالنشأة والتطور ، تلك العناصر التي جعلت كلتيهما واحدة من كبريات المدن في العالم رغم ما أصابهما من

كوارث طبيعية ، وجيوش استعمارية ، خلفت المدينتين أكثر صلابة وقوة ، مثل طائر العنقاء ذا الجذور المصرية والمرسوم على علم سان فرانسيسكو .

الرواية واحدة في سلسلة من الروايات الكاشفة للصدام الحضاري بين الشرق والغرب ، الداعمة للتوجه الحضاري جهة الغرب من أجل الأخذ بركب التطور الحضاري .

كلمات مفتاحية : أمريكانلي – صنع الله إبراهيم – القاهرة – سان فرانسيسكو – أدب مقارن

A **Tale of Two Cities: Cairo and San Fransisco in Son'aalla Ibrahim's novel Americanle: A Comparative study.**

Dr. Soad Amin Muhammed.

Abstract:

The study belongs to a field of comparative literature which is " Imagology " . The study tackles the elements of building the literary image by comparing between the two cities of Cairo and San Francisco. It traces their emergence and development which functioned as a main access in Son'allah Ibrahim's novel Americanle. The novel clearly uncovers the image of the two cities, which casts a realistic dimension. Upon the novel. The text of Americanle calmly reveals the powerful presence of the self before the other in a situation that details such a relationship and puts it in its right frame.

Though the recipient might think it difficult to compare between the two cities, the comparative reading would reveal points of similarity and difference. The novelist San'allah Ibrahim manages to depict the features of both Cairo and San Francisco through an image that seems convincing in many of its elements – elements that made both among the greatest cities of the world despite being inflicted by natural disasters and colonizing armies that left the cities were stronger, just like the Egyptian – rooted phoenix that is drawn on San Francisco's flag.

The novel comes as one of a series of novels that reveal the natural confrontation between the East and the West. It supports the cultural orientation towards the West in order to cope cultural development.

Keyword:

Americanle – Son'allah Ibrahim – Cairo – San Francisco – Comparative Literature

قصة مدينتين: القاهرة وسان فرانسيسكو في رواية أمريكانلي لصنع الله إبراهيم دراسة مقارنة

إعداد

د/ سعاد أمين محمد السيد

مقدمة:

دراسة الصورة (الصورولوجيا) :

الصورة فعل ثقافي لأنها صورة عن الآخر المختلف ؛ لغة وجنسا ودينا ، إنها فعل تختلط فيه المشاعر بالأفكار . و ترجع الصورة الأدبية إلى واقع ترسمه وتدل عليه، بيد أن الخيال هو الذي يرفع لغة الصورة إلى مرتبة الجمال الفني، وهو في الوقت نفسه تعبير عن المجتمع والثقافة ، إذ يجسد المسرح والمكان الذي تعبر فيه اللغة عن نفسها بطريقة مجازية، أي بمساعدة الصور والأشكال.[1]

إن الصورة التي يرسمها أديب ما – بلغته القومية وفي أدبه القومي– لمجتمع آخر أجنبي لا تعبر عن مشكلات هذا المجتمع وهمومه وقضاياه ، ولا تنبع من التزام الأديب حيال المجتمع الأجنبي، ومن رغبته في إصلاحه أو تغييره نحو الأفضل ، وهي كذلك ليست وليدة توحد الأديب واندماجه مع ذلك المجتمع الذي لا يرتبط به قومياً؛ جنسية ولغة ، والذي بدوره يلفظ من يتنكر لأصوله وجذوره . الصورة التي يرسمها الأديب لمجتمع أجنبي تنبع أولاً وقبل كل شيء من مشكلات الأديب نفسه ؛ أفكاره ، آرائه ، علاقاته بالآخرين ، و مشكلات قومه التي يرصدها في مواجهة الآخر ، لذلك تلبي

[1] انظر :بيير برونيل – الوجيز في الأدب المقارن–ترجمة غسان السيد– مطبعة زيد بن ثابت،دمشق ١٩٩٩م – بتصرف

الصورة الأدبية في الدرجة الأولى حاجات نفسية أو فنية أو للذات ، دون أن تلبي حاجات المجتمع المصورة له.

إن الدراسات التي تتخذ الصورة بأشكالها المتنوعة والمتعددة موضوعاً لها،يطلق عليها الصورولوجيا(Imageology) أو كما تسمى في بعض الترجمات بـــ(الصورية) أو(علم الصورة) الذي يعنى بدراسة الصور الثقافية التي رسمتها الشعوب عن بعضها بعضا.[٢]

مجال الدراسة:

تندرج الدراسة ضمن مجال من مجالات الأدب المقارن ؛ أعني أدب الصورة ، والتي تسد فراغا في دراسات العلاقة بين الذات والآخر وإظهار أوجه التشابه والاختلاف ، وما يجعل المستحيل ممكنا في علاقة البلدان رغم اختلاف المواقع والأجواء بصفة عامة ، بل ربما يجعل العدو صديقا برؤية الوجه الآخر الخفي للصورة والعكس صحيح . دراسة الصورة انعكاس لكثير من الأفكار والمشاعر المؤثرة في تشكيل موقف ما أو صورة ما تجاه شعب من الشعوب ، أو أمة من الأمم . وكذلك التمثيلات والطرق التي يرى فيها مجتمع مجتمعا آخر، ويكمن دورها في رفض الأحكام المعلنة و المسبقة والمنحازة مع أو ضد ، والإلحاح على ضرورة الانفتاح على الآخر قلبا وعقلا بهدف تحقيق نظرة شمولية للإنسان في حقيقته المجردة بعيدا عن السياسة والأهواء.

[٢] نوافل يونس الحمداني –الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر مجلة ديالي.العدد ٥٥– ٢٠١٢م– ٦١٦– ٦٤٢ . بتصرف

أهمية الدراسة:

بناء على ما سبق ، تفيد دراسة الصورة الأدبية للآخر في توسيع الآفاق الإنسانية ، والتفكير وإبداء الرأي، بل والحلم بصورة مختلفة . إنها إغناء للشخصية وتعلم من جهة أخرى ، هذا على المستوى الفردي، أما على المستوى الجماعي فتفيد في تصريف الانفعالات المكبوتة تجاه الآخر والتي تشكلت بفعل معلومات خاطئة ، أو في التعويض وتسويغ أوهام المجتمع الكامنة في أعماقه بفعل معلومات مبالغ في أهميتها ، كذلك تبين الصورة المغلوطة المكونة عن الشعوب، فتسهم في إزالة سوء التفاهم وتؤسس لعلاقات معافاة من الأوهام والتشويه السلبي والإيجابي، وتعطي الآخر حقه كما تعطي الذات[٣]. إن دراسة الصورة وهي توسع آفاقنا وزاوية الرؤية ، وتزيدنا معرفة بذواتنا، تعلمنا كيف نقرأ الآخر بموضوعية بمعزل عن الهوى والتعصب فتغتني ثقافتنا عبر الانفتاح على الآخر تسامحا وتعايشا سلميا بين المجتمعات الإنسانية.

صنع الله ابراهيم في روايته " أمريكانلي " إذ يرسم صورة لمجتمعين- من رؤية متوازنة للذات والآخر-؛ أحدهما ينتمي إليه والآخر وافد عليه ، محاولا رصد أوجه التشابه والاختلاف ، مبرزا عناصر سلبية ربما غفل عنها كثيرون ممن أبهرتهم الصور الأولية دون التعمق فيما وراءها ، دون الغوص في أعماقها ، مشيرا في الوقت ذاته إلى تطور ورقي – فعليا و واقعيا -جعل الأحدث تاريخا الأقوى والأفضل؛ بما يمتلكه من عناصر بشرية ، وموارد طبيعية ، وقدرات تكنولوجية لا تتوافر بذات التقنية للأقدم تاريخيا.

[٣] ماجدة حمود.- مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن دراسة. من منشورات اتحاد الكتاب العرب.٢٠٠٠م ص ١٠٨-١١٠ بتصرف

أمريكانلي[٤] لصنع الله ابراهيم ، رواية صدرت في بداية الألفية الثالثة تقدم صورة أدبية- للذات والآخر- متعددة الاتجاهات ما بين اجتماعية ، وسياسية ، وتاريخية ، وثقافية ... مصورة تلك العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب التي تضرب بجذورها في عمق التاريخ .

ما قبل أمريكانلي :

أولا :في القرن التاسع عشر:

في نهاية القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر أصيبت منطقتنا العربية بما نطلق عليه بلغة العصر إعصار تسونامي . وما بين اليقظة والاندهاش أقدمت المنطقة على التغيير والتعديل والتبدل والانتقال من : إلى . ما كان بالأمس فقر وجهل ومرض وتخلف ، قابله رغبة حقيقية في التطور والبناء والازدهار. تمثل تسونامي القرن التاسع عشر في مقدم الحملة الفرنسية وانحسارها في غضون ثلاث سنوات ، كانت تلك السنوات كفيلة برسم معالم حضارية جديدة للمنطقة ، تمثلت في إرسال البعثات الواحدة تلو الأخرى لتشكيل نموذجا نهضويا يعبر بالمنطقة من الماضي المظلم إلى حاضر مشرق يليق بـــ ـــتراثها و حضارتها التي كانت ملء السمع والبصر وقد سادت العالم شرقه وغربه .

تكفل الرواد الأوائل أمثال ؛ رفاعة الطهطاوي ، وعلي مبارك ، والإمام محمد عبده بالعمل على بناء جسور التواصل مع الغرب في محاولة للإفادة والاستفادة مما وصل إليه الغرب في كافة المجالات ؛ اجتماعيا ، وسياسيا ، وأدبيا... وأنتج لنا رفاعة الطهطاوي " تخليص الإبريز في تلخيص باريز" مشكلا من كتابه نموذجا استنهاضيا

[٤]صنع الله ابراهيم – أمريكانلي – دار المستقبل العربي ٢٠٠٣ط١ وللمؤلف روايات أخرى تم عنونتها طبقا والمكان الذي تدور فيه الأحداث ؛ بؤلين ٦٩ – ٢٠١٤م، بيروت بيروت/ الحب والحرب ٢٠١٤م

للشرق من خلال الرحلة إلى الغرب."[٥] وأصدر على مبارك كتابه " علم الدين " والذي أراد من خلاله "أن يهيئ الطريق أمام تجربة الآخر لتبلغ الفائدة منها مداها دون جمود أو تخوف "[٦]. وقد جاء تناولهما التجربة الغربية من خلال استدعاء المتشابه والمختلف من الشرق والغرب – وإن كثر الاختلاف وقل التشابه– والهدف المعلن والمنشود النهوض بالشرق عن طريق الاتصال بالغرب .

توالت البعثات الرسمية ، والرحلات التطوعية من قبل الراغبين في المشاركة والمساهمة في عملية التحديث والخروج بالمنطقة العربية مما رزخ على عاتقها وأعادها إلى عصور التخلف والتقهقر – وقد أصبحت ثرواتها نهبا، ومطمعا لكل راغب في المغامرة والاستمتاع بكنوز الشرق وغموضه – وقد تملكتهم رغبة التمرد على الذات ، مقابل خضوع واستسلام دام قرونا طويلة .

وقد كشفت كثير من الأعمال التي صدرت في تلك الفترة – القرن التاسع عشر – عن حضور قوي لثنائية الشرق والغرب وما يستدعيه من معان ودلالات : الشرق : الذات ، والبعد الروحي ، والواقع الذي بلغ حافة الهاوية ، والتأخر في كافة نواحي الحياة ، مقابل الغرب وما يستحضره من معان ودلالات: الآخر ، والحضارة المادية ، والتقدم والتطور الصناعي والتكنولوجي ؛ مما زاد من حدة الصراع والمقاومة .

فكرة الصراع الحضاري بين الشرق والغرب وما دار من مساجلات وحوارات ودعاوى بالهيمنة والتبعية ، وفكرة الخروج من أسر الغرب والفكاك من براثنه طرحت على ساحة الأدب العربي وتجلت بداية في عدد من المقالات التي كتبها رواد الفكر

---

[٥] د/ أحمد درويش – مدخل إلى الأدب العربي الحديث –جامعة مصر الدولية ٢٠٠٨م ص ٢٣ . لمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع ينظر د/أحمد درويش: تجليات الفن القصصي بين الراوي والحاكي–لونجمان– القاهرة ٢٠٠٠م

[٦] المرجع السابق ص ٤٧

العربي أمثال : رفاعة الطهطاوي ، علي مبارك ، و أديب إسحاق، ويعقوب صروف[٧] ، و روحي الخالدي[٨]، وفخري أبو السعود[٩] ، وخليل هنداوي[١٠]... ، ومحاولاتهم لإيقاظ الفكر العربي وإطلاعه على الجديد من الأشكال الأدبية والتي يفتقدها الفكر العربي ، والخروج من قوقعة الانغلاق التي فرضتها عصور الظلام والتخلف عن طريق عقد مقارنات التشابه والتوازي التي تجاوزت حدود الزمان والمكان ، وابتعدت عن المألوف والمعتاد، والخروج من دائرة المسلمات إلى آفاق أرحب وأكثر اتساعا. وتجاوز نبرة التعالي الحضارية وما قدمته الحضارة العربية للعالم إلى محاولة للاقتداء واقتفاء الأثر.

[٧] كتب مقالة بعنوان (الانتقاد)١٨٨٧م تناول فيها واقع النقد العربي وما يعانيه من تخلف والنقد الأفرنجي وما وصل إليه من تطور انطلاقا من حرصه على أن يتعرف القارئ العربي على أنماط جديدة في النقد . المقتطف ، السنة الثانية عشر ، الجزء (٣) ديسمبر ١٨٨٧،ص١٦٤ وينظر كذلك :الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية – د.حيدر محمود غيلان . ص١١٩

[٨] ينظر إلى كتابه (تاريخ علم الأدب عند الإفرنج والعرب وفيكتورهوجو) الذي صدرعام ١٩٠٤ ، أول محاولة تطبيقية في الأدب المقارن في الوطن العربي ، وذلك لأن المؤلف تناول فيه التأثير والتأثر إلى جانب التشابه والتوازي بين عدد من الآداب ، متجاوزا الدراسات العربية السابقة التي أهتمت بالتشابه والأختلاف . المرجع السابق ص ١٢٦

[٩] ظهرت مقالة له بعنوان " في الأدب المقارن :الأثر الأجنبي في الأدبين العربي والأنجليزي عام 1936: مجلة الرسالة ، العدد (٢٠١) السنة الخامسة ، مايو ١٩٣٧م ، ص ٧٧٢ – ٧٧٥ . وله مقالة بعنوان:"اشتغال العرب بالأدب المقارن"مجلة الرسالة ١٩٣٦م .

[١٠] ركز على الأبعاد التواصلية ، والانسانية بمايتلاءم مع التوجه النهضوي العربي الداعي الى الانفتاح على إداب العالم فينظر اليه على أنه وسيلة من وسائل الاتصال بين الأمم. ركز على الأبعاد التواصلية ، والانسانية بمايتلاءم مع التوجه النهضوي العربي الداعي الى الانفتاح على إداب العالم فينظر اليه على أنه وسيلة من وسائل الاتصال بين الأمم . اشتغال العرب بالأدب المقارن – خليل هنداوي –الرسالة ، ص ٩٣٨،وآفاق الأدب المقارن – د.حسام الخطيب – دار الفكر المعاصر١٩٩٢م ص٢١٣

ثانيا في القرن العشرين:

في القرن العشرين ظهر عدد من الأعمال الأدبية تجاوزت المقال إلى القصص التي تصدت للفكرة ذاتها ؛ العلاقة الجدلية بين الشرق والغرب ، مثل عصفور من الشرق لتوفيق الحكيم ١٩٣٨م، موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح ١٩٦٦م ، ونيويورك٨٠ ليوسف إدريس ١٩٨٠م. وصاحب تلك الروايات تطور في مجال رؤية العلاقة بين الشرق والغرب وصاحبها رؤية متعمقة ، أكثر إدراكا ووعيا بمتغيرات العصر، مع بذل المحاولات لمعرفة سر تقدم الغرب ورقيه الحضاري على كافة الأصعدة ، مع التمسك بقيم الشرق الروحية منها ، والحفاظ على عاداته وتقاليده ، وما يميز الشرق ويجعل هناك مسافة بين ما هو شرقي وما هو غربي" في مرحلة تشهد بلا شك تفوقا حضاريا للأخير"[١١].

وفي أوائل الألفية الثالثة صدرت رواية "حب في كوبنهاجن[١٢]،" وتدور أحداثها في كوبنهاجن، وتتناول علاقة الأنا بالآخر بمرجعياتهما المتباعدة: سياسيا، واجتماعيا، ودينيا، وحضاريا."[١٣]– القضية ذاتها–من خلال استدعاء المواقف، واستحضار ورسم الصور المتباينة والمتشابهة ، واستخدام الرموز في محاولة للاندماج والاستيعاب ما بين الشرق والغرب .

وهناك أيضا رواية "شيكاجو"[١٤] وتدور أحداثها في مدينة شيكاغو، واعتمد الكاتب في بناء روايته على نظرية الأقطاب أو الثنائيات المتنافرة المتضادة، وكانت الرواية في

---

[١١]شاكر عبد الحميد– الحلم والرمز والأسطورة–الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨ص٣٢٣

[١٢]محمد جلال ٢٠٠٣م

[١٣]د.محمد كمال سرحان الذات والآخر في رواية (حب في كوبنهاجن) مجلة جامعة الناصرة العدد السادس– المجلد الأول ٢٠١٥م ص ٢٣٩

[١٤]د.علاء الأسواني ٢٠٠٧م

معظمها مفاهيم وصراعات مستقطبة بشدة مثل الخير والشر، والحياة والموت، والوفاء والخيانة. وهي لا تختلف كثيرا عن سابقتها وكأنهما من مصدر واحد، ما يفرق إحداهما عن الأخرى هو المكان الذي تدور فيه الأحداث .

مما هو لافت للانتباه عنونة كثير من الروايات بأماكن الأحداث والتي تشير إلى الغرب – أوروبا أو أمريكا– كذلك التوجه الدائم ناحية الغرب لا الشرق فلم نر مثلا حب في الصين أو الهجرة إلى الهند ، أو الطريق إلى ماليزيا ... مما يدلل على الوعي بالتوجه والمقصد . كثافة حضور المكان في تلك الروايات بدءا من العنوان ، شكل مفتاحا استراتيجيا لقراءة تلك النصوص ؛ حيث يحمل دلالة لفضاءين متباعدين ومتناقضين ، وهما الغرب في مواجهة مباشرة مع الشرق حيث لكل فضاء رصيده الحضاري وقيمه الموروثة من معطيات المكان والموقع الجغرافي .

أمريكانلي صنع الله إبراهيم:

رواية تنضم لتلك السلسلة التي تناقش جدلية العلاقة بين الشرق والغرب عبر الارتحال إلى الغرب " ربما كان أكثر ما يجسد هذه العلاقة الشائكة الآن رواية صنع الله إبراهيم"[١٥].. من قراءة العنوان نلمح تلك الثنائية الضمنية فأمريكانلي / الغرب/الآخر/سان فرانسيسكو في مواجهة الشرق /الذات/القاهرة، وما يترتب على ذلك من وقوع صدام حتمي في محاولة تحديد السمات والصفات برؤية يهيمن عليها رؤية واعية ، متأنية، هادئة يغيب عنها بوعي تام لغة الصراخ والتعصب. وكما فعل الشيخ رفاعة الطهطاوي بنصيحة شيخه ومعلمه وملهمه الشيخ حسن العطار بتدوين يومياته ليقدم كتابا للمكتبة العربية[١٦]، يقدم لنا صنع الله ابراهيم رواية هي أقرب إلى

[١٥] د.مصطفى عبد الغني –الاتجاه الإنساني في الرواية العربية– كتاب الرياض–مؤسسة اليمامة الصحفية٢٠٠٦م ص ١٣١

[١٦] د. أحمد درويش – مدخل إلى الأدب العربي الحديث –ص ٢١

تدوين يوميات الجزء الأدبي في الرواية يستعرض فيها الدكتور شكري/ صنع الله إبراهيم قصة حياته، وهى تجربة غنية بالتفاصيل المميزة ، ولكن في رأيي كان من الممكن أن تأتي أفضل مما جاءت ، ففي مواضع كثيرة مهمة ومؤثرة جاء التناول في عجالة دون تركيز ؛ حيث اهتم بالسرد فقط ؛ مثل تجربة الإبعاد عن الوطن، وحالة التنمر التي تعرض لها البطل بعد كتابه الذي تناول فيه الغزو العربي لمصر، وهي دراسة " مليئة بالمزالق والأشواك..."[١٧] وكذلك حالته النفسية وتشخيصها ، ونموذج المشردين ، ومجتمع الغرباء في سان فرانسيسكو، وموقف المثقفين من الاحتلال الإسرائيلي ولا أعفيه من سلبيته تجاه الموقف الأخير . والعكس صحيح ، في مواضع أخرى سطحية وغير مؤثرة في السياق ، اهتم بالتفاصيل المتكلفة –خاصة فيما يتعلق بحياته الجنسية ومغامراته الفاشلة – والوصف التفصيلي والممجوج لكل النساء اللائي تعرف بهن ؛ زميلات ، طالبات ، صديقات وغيرهن.. ولم يلق الضوء على أبعاد جديدة قد تكون مؤثرة أو يستدعيها الموقف بل جاءت كلها نموذجاً مكرراً لكل تجاربة النسائية الفاشلة.

أولا: العنوان : لماذا أمريكانلي ؟

لا يمكن فهم النص وإدراك مكنوناته بعيدا عن فهم مغزى العنوان وعناصره البنائية حيث" قراءة المتن مشروطة بقراءة هذه العناصر ، فكما أننا لا نلج فناء الدار قبل المرور بعتباتها ، كذلك لا يمكننا الدخول إلى عالم المتن قبل المرور بعتباته ، لأنها تقوم–بين ما تقوم به– بدور الوشاية والبوح ، ومن شأن هذه الوظيفة أن تساعد في قراءة سليمة للكتاب أو النص "[١٨]. وتتأتى تلك الضرورة لمحاولة فهم وتفسير مغزى عتبات النص الأولى حين لم يعد النص هو الغاية الوحيدة التي يقصدها المتلقي لأن ما

[١٧] أمريكانلي ص ٣٤٧

[١٨] عبد الرازق بلال- مدخل إلى عتبات النص- دار أفريقيا للنشر.الدار البضاء.المغرب ٢٠٠٠م ص٢٣

حول النص من عتبات نصية أصبحت تؤثر تأثيرا بالغا في طبيعة و وسيلة التناول والمعالجة الفنية ، بل إنها تشكل " نظاما إشاريا ، ومعرفيا ، لا يقل أهمية عن المتن"[١٩].بالنظر إلى عنوان الرواية نجده مكونا من كلمة واحدة موجزة هي " أمريكانلي " ذات كثافة دلالية، تتلاءم مع مضمون الرواية، والقضية التي يعالجها؛التوجه غربا،ملحقا به عنوانا فرعيا بمثابة تقطيع للعنوان الرئيسي كتب هكذا: أمري كان لي . يستدعي صنع الله إبراهيم شعارا ساد في فترة السبعينات تمجيدا وتعظيما لكل ما هو قادم من الغرب ، تحديدا " أمريكا" .أطلق هذا المصطلح على أي سلعة ذات بريق وسريعة التلف والاستهلاك في آن واحد .انفردت أمريكا عقب نهاية الحرب العالمية الثانية بسيادة العالم " فقد خلفت الحرب العالمية الثانية طلبا على سلع واحتياجات لم تعد الصناعة الإنجليزية أو الألمانية قادرة على تلبيتها وغمرت الأسواق بمنتجات سعى صناعها الأمريكيون وراء ربح سريع فلم يعتنوا بجودتها"[٢٠]. واتفقت الرغبة الأمريكية مع الرغبة المجتمعية ، أقبل الكثيرون على كل ما هو قادم من أمريكا "بدلا من الإقدام على مشروعات ضخمة تؤتي أكلها بعد عقود ، اقتصرت أحلامها على الربح السريع الذي يتحقق من المشروعات الخدمية والاستيراد".[٢١]شبق الحصول على السلع الأمريكية استبد بالمجتمع ، وترافق معه انبهار بالمجتمع الأمريكي بوجه عام ، والنظر إلى ما يصدر إلينا من أحاديث وكتابات عن الجنة الموعودة التي أصبحت قبلة للنابهين من أبناء الوطن . لقد سعى كثير من أبناء الوطن العربي إلى السفر والحصول على الجنسية الأمريكية ليصبح "أمريكاني" وما يتبعها من مميزات تجعل له الفوقية على أبناء بلده ، ومن طقوسها أداء القسم،يقول السارد" اتسعت ابتسامته وهو يرفع يده مبسوطة

[١٩]محمد صابر عيد-سحر النص من أجنحة الشعر إلى أفق السرد، قراءات في المدونة الإبداعية لإبراهيم نصر- المؤسسة العربية للدراسات والنشر.بيروت ٢٠٠٨م ص ١١٩

[٢٠]أمريكانلي ص ١٨٠

[٢١]أمريكانلي ص ١٨٨

في وضع القسم : أقسم بالولاء لـــ"الولايات المتحدة " أولا وأخيرا. وأن تكون المصلحة الأمريكية فوق كل اعتبار وأن أرعى المصلحة والأمن القومي الأمريكيين، سواء كنت هنا في الوطن أو في مصر"[٢٢]. نعم الولاء للولايات المتحدة في الداخل والخارج ، إنه التأمرك الذي بات هدفا وغاية منشودة .

أصبح المجتمع الشرقي " أمريكانلي " أي متأمرك يتبع النمط والنموذج الأمريكي ، وتبع ذلك بالضرورة (أمري كان لي) جملة بطولها تفيد الخبر فيما آل إليه الأمر أن هناك ما كان يملك أمره ثم لم يعد يملكه الآن .

ثانيا: الرواية :

تبدأ أحداث الرواية عقب وصول الأستاذ الجامعي المصري " شكري[٢٣]" لولاية سان فرانسيسكو إحدى الولايات المتحدة الأمريكية[٢٤]،على إثر دعوة تلقاها من صديق قديم هو د/ ماهر لبيب يقول السارد" أحد الطيور المغادرة ، مصريا من الجيل التالي لي مباشرة وقمت بالتدريس له عندما كنت معيدا في جامعة القاهرة . وكان متفوقا في دراسته فتلقى منحة من جامعة كولومبيا ، ونال الدكتوراة بامتياز ، ثم رفض العودة واستقر في أمريكا ، وحصل على الجنسية الأمريكية"[٢٥]، وهو مدير معهد يعنى بالتاريخ المقارن.

---

[٢٢] أمريكانلي ص ١٧٩

[٢٣] لم يذكر الاسم الا بعد مرور ثمانين صفحة في الجزء رقم ٦ ص ٨١ في لقاء عابر مع موظفة أمريكية "حيتني بابتسامة ودودة قائلة : أنا مسز كرين . وأنت البروفسور شكري ".

[٢٤] لقد عمم صنع الله إبراهيم المشاهدات في سان فرانسيسكو وكأنها الولايات المتحدة الأمريكية بأكملها مثلما فعل أمير الشعراء في قوله : وطني لو شغلت بالخلد عنه...نازعتني إليه في الخلد نفسي . حيث عمم الجزء على الكل.

[٢٥] أمريكانلي ص٣٦

كلف د." شكري" بتدريس: سيمنار لمجموعة من الطلاب ذوي الاتجاهات المتعددة " تتابع وفود طلابي. وأحصيت أحد عشر فردا التفوا أمامي حول الطاولة يتأملوني في توجس . كانوا ثلاثة شبان –أحدهم أحمر الشعر – وثماني فتيات بينهن واحدة سمراء غطت شعرها على الطريقة الإسلامية. وتنوعت ملامح الجميع بين صينية أو يابانية وهندية أو أفريقية فضلا عن أوروبية [٢٦] لم يقتصر تنوع الطلاب الأمريكيين على الأصول والخلفيات الثقافية المتباينة ، بل والديانات أيضا فبينهم اليهودي "مونا" و المسلم" فادية، وفرنون الأسود(عبد الرحمن)" والمسيحي"دوريس ، شيرلي ، ميجان ،لاري ،سابك "وغيرهم . ذلك التنوع الجنسي والديني والعرقي والثقافي ، إضافة لحرية فكرية حلت على السيمنار شكلت لونا من تبادل الأفكار والأطروحات في كافة الموضوعات كما شكلت ثراء فكريا من خلال الهامش الذي شكل صوتا إضافيا لصوت الراوي . ومن السيمنار تبدأ رحلة السرد التاريخية ، والاجتماعية والسياسية والاقتصادية لأهم المتغييرات التي حدثت في العالم.

وقد ناقشت الرواية قضايا عدة ؛ تاريخية وسياسية واجتماعية واقتصادية ونفسية مختلفة ، ومن ذلك : تاريخ مصر القديم والحديث ؛ منذ الفراعنة مرورا بالفتح العربي (الإسلامي) وحتى العصر الحالي ، التاريخ الأصلي لأمريكا قبل اكتشافها ، كما تقدم الرواية معلومات تاريخية – ربما أثقلت كاهلها – تتناول شخصيات حقيقية موثقة بمستندات وأدلة ومراجع "وأضفت إليها كتاب "ألبرت حوراني" عن تاريخ الشعوب العربية ومؤلفات"اريك هاوبسباوم"[٢٧] وكذلك تنوعت الموضوعات المقترحة للسيمنار؛ "عنونت مونا ورقتها ب" مفاهيم خاطئة في التاريخ" ...، ورقة فادية تناقش فكرة "المنقذ الغائب" في الثقافتين العربية والأنجلو سكسونية...الورقة التالية لسابك

[٢٦] أمريكانلي ص ٣٢

[٢٧] يعتبر أهم المؤرخين المعاصرين وهو بريطاني تجاوز الثمانين... أمريكانلي الهامش ص ٣٤

بعنوان"الإبادة وفرن الصهر"... ورقة دوريس كان موضوعها هو كتاب "ادواردو جوليانو"الذي يمزج بين التوثيق العلمي والإبداع الأدبي... تعرض لاري في ورقته لفترة العشرينيات من القرن وموجة الثوارت التي اجتاحت العالم وقتها..."[٢٨]. هكذا تنوعت الموضوعات واتسعت معها دائرة المناقشات ، كل يدلي بدلوه وفق رؤيته ومعلوماته وما توصلت إليه قراءاته ، والأستاذ شكري يصوب ويوجه ويعدل يقول،السارد"تتابعت تعليقاتهم وتركتهم يتكلمون قليلا وأنا أتدخل بين الحين والآخر مصححا كلمة أو معلومة."[٢٩] ويعيد سرد التاريخ من خلال سيرته الذاتية وما مر به من حكايات وأحداث مقدما للمكتبة العربية رواية تحمل في طياتها نصا تعليميا في توضيح أفكار مسبقة ، لايغيب عنها النقد للذات وللمجتمع ، بل إنه يسودها ويسيطرعلى أجزاء كثيرة منها .

هناك موضوع استوقفني وجعلت منه موضوعا رئيسا لهذا البحث وقد اقترحته إحدى الطالبات ذات الأصول المصرية ، والديانة الإسلامية ، ومحجبة يقول السارد" وثماني فتيات بينهن واحدة سمراء غطت شعرها على الطريقة الإسلامية"[٣٠]،ويصفها في موقع آخر" كما كان بينهم طالبة تحمل اسما عربيا- هي التي لفت شعرها بما يشبه الحجاب- قدرت أنها من بلدياتي"[٣١]، اقترحت فادية –التي تحاول التمسك بشرقيتها–موضوعا رآه الأستاذ شكري مستحيلا، يصف السارد ارتباكها قائلا:" ظهرت "فادية"–مواطنتي–في مدخل الغرفة . وقفت تعبث بأزرار حقيبة يدها في ارتباك . طلبت منها بالعربية أن

[٢٨] الرواية ص ٤٧٤

[٢٩] الرواية ص ٧٢

[٣٠] الرواية ص ٣٢

[٣١] الرواية ص ٣٣

تجلس فاختارت المقعد القريب من الباب... قالت إنها تفكر في عقد مقارنة بين تاريخ مدينتي "القاهرة"و"سان فرانسيسكو"... هناك أوجه عديدة للمقارنة".[٣٢]

في رد تلقائي و سريع دون تمهل أو ترو،عارض الأستاذ الجامعي موضوع المقارنة تلميحا وتصريحا:" أشحت بيدي في استهانة واستطردت: هذه مقارنة تصلح للصحف. فتاريخ المدينتين مختلف...ماذا لديك؟ مدينة عريقة عمرها أكثر من ألف سنة قامت على أنقاض حضارة قديمة عمرها عدة آلاف أخرى ...ومدينة حديثة لا يزيد عمرها عن قرنين.."[٣٣] بيد أن الرفض أو الاعتراض أو استبعاد أوجه المقارنة بين القاهرة وسان فرانسيسكو لم يفارق خيال ووعي الطالبة مصرية الأصل ؛ التي تنتمي أسريا للقاهرة، وجنسية لأمريكا، وتعيش في سان فرانسيسكو التي يقع بها مقر التدريس .

المقارنة :

تتوالى الصفحات في حوارات ومناقشات في موضوعات شتى بعضها يتعلق بالتاريخ الأمريكي ، والبعض الآخر بالتاريخ المصري القديم والذي تركز في بعضه حول شخصية حقيقية هي الملكة حتشبسوت ؛صفاتها ،وسماتها، وسياستها في الحكم، ومصيرها الغامض" لكن مصيرها ظل لغزا فقد اختفت فجأة"[٣٤] .

مع تنوع الموضوعات يتبادر إلى الذهن أن المقارنة التي اقترحتها الطالبة ذات الأصول المصرية ذهبت أدراج الرياح وطواها النسيان ، لنجدها تظهر فجأة في الجزء رقم (١٨) الصفحة رقم(٢٢٨) مع اختلاف طفيف " كنت قد طورت فكرة فادية عن المقارنة بين تاريخ القاهرة وسان فرانسيسكو إلى عرض مستقل عن كل مدينة"[٣٥]. انقسمت المقارنة لتتحول إلى رسم صورة لكل من القاهرة وسان فرانسيسكو بين كل من الطالبة

[٣٢] الروايةص٦٩

[٣٣] أأمريكانلي ص٦٩

[٣٤] الرواية ص ١٠٥

[٣٥] الرواية ص٢٥٠

المصرية الأصل تحت عنوان "قراءة المدينة" القاهرة " نموذجا" والأمريكيين شيرلي ولاري. وقد تنوعت أوجه المقارنة بين النشأة والارتقاء والتطور لكل من المدينتين من خلال النواحي؛ التاريخية،والاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والعمرانية .

البداية : النشأة

لكل قراءة مفتاح يتناسب مع طبيعة المقروء عنه،ولكل صورة خطوط أولية تمثل الإطار الذي يحوي تلك الصورة ويضمها بين جنباته. رغم التداخل والتشابك بين عناصر الصورة فيمكن الفصل بينها وتصنيفها لتتضح معالم الصورة لكل من القاهرة وسان فرانسيسكو ؛ ما يجمعهما ؟ وما يباعد بينهما ؟ . كلاهما قديم قدم الإنسانية ، وكلاهما تعرض لنكبات وغزوات خلفته أكثر صلابة وأشد عودا وأكثر خبرة . المدخل المناسب للقراءة ذكره صنع الله ابراهيم على لسان شيرلي الأمريكية مفاداه أن " الاختراع ، الطموح الفردي ، الحلم بفرصة ثانية ، إلي جذب المهاجرين من كل مكان وفرض عليهم التعايش ، ثم الحرية. بوسعنا أن نعتبر هذه السمات مدخلا مناسبا لقراءة المدينة مثلما كان التدين –حسب فادية– هو المدخل بالنسبة لـــ"القاهرة "[٣٦].

القاهرة :

الدين والدنيا انهما يشكلان بداية لكل من المدينتين فالقاهرة بنيت بين مقبرة (الأهرمات) ومسجد (القلعة) بينما سان فرانسيسكو كانت الحانات والمتاجر وفرص الربح والثراء . إضفاء لواقعية ما يطرح ويقدم من معلومات – لا مجال للخيال فيها– جعل الطالبة تستشهد وتتبنى وجهة نظر المؤرخ المصري جمال حمدان فقالت :" إن القاهرة تمتد بين مجموعتين معماريتين: الأولى فرعونية في الغرب، تكونت حول الأهرمات، أضخم مقبرة في العالم، والثانية في الشرق حول مسجد القلعة ذي القبة

[٣٦] أمريكانلي ص٢٥٦

والمئذنتين الرفيعتين، تركيتي الطراز، وبذلك دمغها التدين بطابعه"[٣٧]. هل تمخضت العبارة التي تتردد دائما أن المصري متدين بطابعه عن تلك النشأة التي تميز القاهرة عن غيرها من المدن ؟ لم تكن الثروات أو توافر الموارد الطبيعية سببا جاذبا لكثير من العناصر التي عمرت القاهرة ، بل كان هذا الطابع الديني والذي دعمه نشأة المساجد وتنافس الحكام من مماليك وعثمانيين في بنائها حتى أطلق على القاهرة مدينة الألف مئذنة .

سان فرانسيسكو:

المسمى ديني[٣٨]، والنشأة على يد مجموعة من المستوطنين الأسبان المسلحين. ويسبق هذا وذاك السكان الأصليون للبلاد " الهنود الأهلون" ويصفهم "لاري " بأنهم" ربما عاصروا المصريين القدماء"[٣٩]. لم يكن الأهلون على درجة من التقدم ، بل تمتعوا بالسلام الذاتي والقدرة على استقبال الآخر في وداعة وبشاشة حتى أنهم "استقبلوا المستوطنين الأسبان المسلحين في ذهول وخضعوا لهم بسهولة"[٤٠]. تخلفت حضارتهم فلم يخلفوا وراءهم آثارا تدل عليهم وتذكر بهم ، واقتصروا على إنتاج ثقافة رقيقة موسيقية وغير حربية ، امتدادا لإيمانهم بالتعايش السلمي . وقد توالت على سان فرانسيسكو عدة أجناس ؛ فرنسين ، إنجليز، إسبان ، مكسيك سعيا وراء الذهب وحلم الثراء.وكما استُعبد سكان القاهرة ، استُعبد الأهلون وأكثر" كان يتم احتجاز الهنود في

---

[٣٧] أمريكانلي ص ٢٣٠

[٣٨] تعود التسمية إلى فرنسيس الأسيزي أو (فرانسيسكو دي أسيس – فرانسيسكو بيرناردوني) ينحدر من مدينة أسيزي ٢٦ سبتمبر ١١٨١ – ٣ أكتوبر ١٢٢٦ لقب كقديس في الكنيسة الكاثوليكية، جاء من عائلة تعمل في التجارة ويعتقد بأن أمـــه فرنسية الاصل ووالده كان يسمى بيدرو بيرنادوني في اسيس عرف بفرانسيسكو (تصغير لكلمة فرنسي أو الفرنسي الصغير). ويكبيديا

[٣٩] الرواية ص٢٥٩

[٤٠] السابق

حظائر أشبه بحظائر الكلاب لا يخرجون منها إلا للتغوط الجماعي في حفر مفتوحة أو للعمل الإجباري"[٤١]وهكذا تحكم الوافدون في أصحاب الأرض وتم القضاء عليهم ومحو قراهم وتقاليدهم . لم يكن لأصحاب الأرض من الشواهد الحضارية التي تدل عليهم كما لسكان القاهرة ،الذين رغم كثرة الوافدين من الشرق والغرب صمدوا وبقوا ولم يتعرضوا للفناء والإبادة " الأهلون ليسوا إلا قطرة في بحر من ١٢٠ مليون إنسان في أنحاء الولايات المتحدة تمت إبادتهم عن عمد في جريمة لم يعرف التاريخ الإنساني مثلها"[٤٢].

جاءت أجناس وذهبت أجناس ، وبقيت كل من القاهرة وسان فرانسيسكو ترويان ما كان وتتهيآن لما سيكون من تطور ورقي وتقدم وإن تفاوتت وتيرته في كلتيهما.

التطور : الاجتماعي الثقافي/ السوسيو ثقافي

القاهرة :

اهتم النص الروائي"أمريكانلي " بالعرض السوسيو ثقافي " أي الاجتماعي الثقافي من خلال رصده للطابع الثقافي الفكري لكل من المدينتين . وتتبدى تلك الصورة الثقافية من خلال عرض مظاهر الحياة الاجتماعية في القاهرة إذ تقول فادية قي عرضها للحياة المصرية داخل ذلك المجتمع العربي الكائن في ذاكرتها ." القاهرة تعتبر أقدم مدينة في العالم. صحيح أنها شيدت قبل ألف وأربعين سنة إلا أن موقعها كان دائما مركزا لعاصمة مصر قبل ذلك بعدة ألاف من السنين " أي أن القاهرة ولدت عملاقة ، احتلت

---

[٤١] السابق

[٤٢] أمريكانلي ص٢٦٠ من المعلومات في موقع ويكيبديا على شبكة الإنترنت أنه "" في 28مارس١٧٧٦ وصل جنود إسبانيون من مكسيك وقد مات كثير من الهنود الأمريكيون من الأمراض التي جاءت مع الجنود.". بينما تذكر الرواية أن الإبادة كانت متعمدة حيث أهدى قائد الجيش البريطاني عام ١٧٦٣بطاطين ملوثة بميكروب الجدري لاستئصال هذا الجنس اللعين، حسب قوله وانتشر الوباء بين أربعة شعوب هندية وأتى على أكثر من مائة ألف طفل وشيخ وامرأة وشاب . الرواية ص٢٦٠

مكان الصدارة في سلسلة المدن المصرية وكانت العاصمة ولم تستبدل بغيرها رغم مرور السنين . ابناء القاهرة ومن سكنها من أجناس أخرى كان لهم نصيب من الوصف ، فتقر أن طوال خمسة قرون ونصف قرن سكن القاهرة سلالات من العبيد(مغول وأرمن ويونانيين وايطاليين زصقليين زبرابرة وسودانيين وترك وكرد وتركمان وشركس)[٤٣]. جميع تلك الأجناس انصهرت في بوتقة القاهرة لتشكل بعد ذلك الفرسان والأمراء الذين شيدوا حول القلعة مئات المآذن والقباب .

في تطور القاهرة رصدت "فادية " – لسان صنع الله الناطق– منعطفات ومحنيات شكلت تحديات للمصريين منها الحملة الفرنسية وكذلك القضاء على مشروع محمد علي " وكان محمد علي هو الذي قضى نهائيا على طبقة المماليك بالمذبحة الشهيرة التي جرت في القلعة ودشن المشروع التحديثي الأول في تاريخ مصر الحديث فأقيمت المصانع والمدارس وأرسلت البعثات إلى الخارج . لكن هذا المشروع لم يقيض له النجاح إذ أجهضه الاستعمار الغربي"[٤٤]. عرض "فادية" الذي سيعادله بشكل ما عرض " شيرلي" لـــ سان فرانسيسكو أثار التعجب والضحك من قوة وصلابة هذا الشعب في التحمل والصمود واستكمال البناء رغم المعاناة " تدخل فرنون متعجبا: كيف تحمل المصريون كل هذا العذاب؟"[٤٥]. الماضي البعيد والصورة التي رسمتها فادية لقدرة الشعب المصري جذبت اهتمام البقية عندما تجلت لهم قدرة المصريين الفذة على الصبر والتحمل . صورة غير مألوفة لهم عن شعوب تبعد عن بلادهم أميال وأميال ولا يرون منها إلا ما يحجب الحقيقة ويرسم صورة سلبية لشعوب تستعذب العبودية والخنوع ولا تسعى للحرية والارتقاء .

---

[٤٣] الرواية ٢٣١

[٤٤]الرواي ٢٣٣

[٤٥]السابق

ولاتزال الصورة تكتمل أركانها فمع وصف الشعب بأنه قد عانى في فترات كثيرة من الحكام وسطوتهم على المجتمع ، وتأثيرهم في حياة الأفراد الاجتماعية ،إلا أن العهد الملكي اتسم بنظافة الشوارع وطابع الهدوء العام والروح الكلاسيكية الهادئة للفرد المصري ووجود للطبقة المتوسطة . وعلى الرغم من بذخ أبناء محمد علي وبنائهم للقصور"استأنفت فادية العرض فوصفت أحوال القاهرة في عهد محمد علي وكيف تـــأثرت بمشاريعه ، وبدأت تخرج من أسر الحواري المظلمة والقذرة . ووضع حفيده إسماعيل مشروعا شاملا لتطوير المدينة على غرار النموذج الغربي"[٤٦].

الانتقال من القديم إلى الحديث في عرض الصورة جاء مع العهد الجمهوري ، ومحاولة جمال عبد الناصر تحقيق مبدأ العدالة الاجتماعية التي نادى بها مكنت الفلاح من تملك الأراضي ومقاسمة الأغنياء الأثرياء الذين تحددت ملكيتهم في عدد معين ووصلت ثمرات البلاد لمستحقيها وبنيت دور السينما وأنشئت المسارح واهتم بها جمال عبد الناصر لأنه كان قارئا ومتابعا للفن الثقافي بمختلف مجالاته ؛ السينمائية والمسرحية وأصبحت هناك وسائل راقية اجتماعية لتشكيل ثقافة الفرد وشغل وقته "انتقلت بعد ذلك إلى تطور القاهرة في العهد الجمهوري. قالت إن الثورة بادرت بوضع خطط متكاملة للتنمية الشاملة على النموذج الغربي"[٤٧]. التوجه الغربي مرة أخرى وأخرى منذ عهد محمد علي وحتى عهد عبد الناصر ، لم يكن هناك نموذجا مستقلا تسير على هديه البلاد فيكون قوميا خالصا لا شرقي ولا غربي ويتفق "وتمتع البلاد وللمرة الأولى منذ عهد الفراعنة بالاستقلال الكامل في ظل حاكم مصري من أبنائها"[٤٨] لكن الحروب التي خاضها عبد الناصر كانت قاصمة للاقتصاد المصري وسببا رئيسا في بداية حالة الفقر الاجتماعي "ولم ترحب إسرائيل بأن تصبح مصر قوة صناعية

[٤٦] الرواية ٢٣٥

[٤٧] أمريكانلي ص٢٣٥

[٤٨] السابق

فشنت الحرب عليها واضطرت البلاد إلى تأجيل كثير من المشروعات السكنية والخدمية"[٤٩]. تحد جديد وإجهاض آخر لمشروع التطوير وانتقال البلاد إلى عصر التقدم في منتصف القرن العشرين . كانت هزيمة ١٩٦٧م دافعا لهجرات توالت على القاهرة " كانت القاهرة هي وجهتهم المفصلة لأن كل شيء مركز بها : نصف الكم الصناعي الوطني وربع أطباء البلاد وأكثر من ثلث صيدلياته وقرابة الثلثين من مجموع وسائل النقل والمواصلات السلكية واللاسلكية و التليفزيون ودورالسينما الراقية والمسارح "[٥٠] بعد عصر الانفتاح الذي أرساه السادات ضاعت الطبقة الوسطى(رمانة الميزان في المجتمع كوسيط بين طبقتين) وزادت الفجوات بين الطبقات الاجتماعية وضاعت الحقوق وبدأت حياة العشوائيات والنوم على الأرصفة وضياع الخدمات بالمرور والصحة والإسكان ومختلف المرافق الاجتماعية العامة واتسخت الشوارع وسادت ثقافة القبح والسلوك العنيف وارتفعت معدلات الجريمة وافتراش الأطفال لأرصفة الشوارع وغيرها من الأوضاع المميتة . إن ما أوصل القاهرة إلى ذلك الحال هو ما قررته الطالبة في وصفها التخلي "عن أي خطط استراتيجية للتنمية في صالح المكاسب الآنية، فأوصلت القاهرة إلى مشهدها الحالي : "مدينة صاخبة لا تهدأ بالنهار أو الليل يبيت بها قرابة ١٣ مليونا من القاطنين يصبحون بالنهار ١٦ مليونا يشكلون قرابة ربع سكان البلاد، يتحركون مكتئبين وسط السيارات المتلاحمة والباصات المكدسة والزمامير الحادة"[٥١].

[٤٩] السابق

[٥٠] الرواية ص٢٣٦

[٥١] أمريكانلي ص٢٣٦

حول رؤية القاهرة وحقيقتها:

وإن اتفق الوصف مع الواقع ، هل شاهدت فادية المصرية الأصل ما وصفته رؤية عين؟ الإجابة : لا ، فهي لم تذكر أنها زارت القاهرة على الإطلاق ؛ ولدت ونشأت في أمريكا ، استمدت معلوماتها من كتب الرحالة الذين زاروا البلاد وكتبوا انطبعاتهم عن القاهرة ومدى صدقهم أم كذبهم فيما دونوا. استقاء الطالبة معلوماتها عن القاهرة جاء من قراءتها كتب المؤرخين أمثال جمال حمدان وصادق سعد وغيرهم ممن ورد ذكرهم في الرواية فاختفت لديها الصيغ المرضية نحو سمعت ، يقولون ، زعموا ... وهذا ما أكسب حديثها القوة حتى نالت إعجاب البروفيسور شكري قائلاً :" لم أكن متفقا معها تماما في هذه النتيجة"[٥٢] أي ما توصلت إليه في خاتمة قراءتها،ثم أردف قائلا:" إن جغرافية القاهرة و تاريخها يؤكدان أن التدين هو سمتها الأساسية ، وأن التغريب أدى إلى فشل مشروعات التحديث "[٥٣]... "ولم يحل دون إعجابي بالجهد الذي بذلته واستفادتها من الإرشادات التي قدمتها إليها"[٥٤].

دراسة الطالبة تشير إلى أهمية كتابة التاريخ من قبل المؤرخين مع توخي القدر الأكبر من الحقائق دون تهويل أو تهوين ، دون أهواء أو ميول ذاتية ،هذا وحده كفيل بتحقيق المصداقية والتي تنتقل من جيل إلى جيل اعتمادا على ما يكتب وينقل لهم .

سان فرانسيسكو :

النشأة :

التباعد الجغرافي ما بين القاهرة وسان فرانسيسكو ربما يكون باعثا على رفض فكرة التلاقي بين المدينتين، بيد أن نظرة واحدة إلى علم سان فرانسيسكو تبدد هذه الفكرة بل

---

[٥٢]" اختتمت الطالبة حديثها بالنتيجة النهائية التي توصلت إليها. قالت إن جغرافية القاهرة وتاريخها يؤكدان أن التدين هو سمتها الأساسية، وأن التغريب أدى إلى فشل مشروعات التحديث" الرواية ص٢٣٧

[٥٣]أملريكانلي ص٢٣٧

[٥٤] الرواية ٢٣٧

تدعمها وتقويها. يقول السارد:"علم سان فرانسيسكو وخاتمها يصوران طائر العنقاء الخرافي المصري منبثقا من النار"[٥٥].إن شباب وحيوية وتجدد تلك المدينة أريد له أن يكون مثل العنقاء التي تقول الأسطورة "إنه بعد مضي خمسمئة سنة على العنقاء تحرق نفسها في كومة الحطب ، ومن الرماد المتخلف تحيا من جديد ويتجدد شبابها لتعيش مرة أخرى"[٥٦]. إن ما تعرضت له كل من القاهرة وسان فرانسيكو وقد تمثلت في العدوان العسكري على القاهرة منذ عهد الفراعنة انتهاء بالاحتلال الإنجليزي عام ١٨٨٢م ، وكذلك ما تعرضت له سان فرانسيسكو من كوارث عدة منذ إنشائها عام١٧٧٦م " فإلى جانب الزلازل التي وقعت أحداثا منذ عشر سنوات فقط. احترقت المدينة عدة مرات ... هناك أيضا الأزمات الاقتصادية التي بلغت حد الانهيار عدة مرات"[٥٧]. التشابه والتقارب في توالي الكوارث والأزمات ثم النهوض ومعاودة الحياة أكثر صمودا وقوة قربا بين قاهرة فادية وسان فرانسيسكو شيرلي ، بيد أن درجات النهوض تتفاوت بين المدينتين ، فالقاهرة قوبل مشروعها النهضوي بالعدوان العسكري الذي تسبب في حدوث خسائر اقتصادية واجتماعية كبيرة ، أما سان فرانسيسكو فقد اتفقت سيرتها وطائر العنقاء فمع وبعد الكوارث اكتشف الذهب ثم الفضة وتأهلت المدينة للثورة الصناعية.

---

[٥٥]الرواية ٢٥٢ أسطورة طائر النار "العنقاء، الفينكس" من الأساطير الشهيرة فى العالم، وهو طائر طويل العنق ولذلك أطلق عليه العرب كلمة "عنقاء" أما كلمة الفينكس فهي يونانية الأصل، و تعني نوعا معينا من النخيل . نسبت أسطورة طائر النار إلى المصريين القدماء لأن حضارتهم مرتبطة بفكرة الأبدية، وكان يتميز هذا الطائر بالجمال والقوة، وكان شبية بالنسر الرائع المظهر يكسوة ريشا ذهبياً .وأكد كثير من المشاهير القدماء أنهم رأوه، وتروى الأساطير القديمة إن العنقاء يعيش ٥٠٠ سنة وعند أقترب ساعة موته يعمد إلى إقامة عشّه من أغصان أشجار التوابل، ومن ثم يضرم في العش النار التي يحترق هو في لهيبها، وبعد مرور بعد الوقت على عملية الانتحار تلك ينهض من بين الرماد طائر عنقاء جديد .أسطورة طائر النار كانت رمز لفكرة البعث بعد الموت ولذلك ارتبطت بقدماء المصريين –شبكة الإنترنت –ويكيبيديا . وينظر أيضا كتاب : دليل الحقل والمختبرات في التحنيط وجمع العينات لطلبة المدارس والجامعات- درويش الشافعي- دار الخليج للنشر والتوزيع ٢٠١٨ وقد ذكر أن الطائر " يرمز إلى ولادة الشمس عند بزوغ الفجر " ص ٢٠١

[٥٦]موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها- محمد عجينة- دار الفارابي:بيروت ١٩٩٤م ص ٣٣٦-٣٤٠

[٥٧] أمريكانلي ص٢٥٣

التطور:

" شرحت شيرلي كيف وجدت الثورة الصناعية التي عرفتها انجلترا في القرن الثامن عشر أرضا خصبة في الولايات الأمريكية... وتحدثت عن ازدهار سان فرانسيسكو في ظل النظام الأمريكي. وكيف صارت الآن من أحدث المدن وأكثرها تقدما تكنولوجيا."[٥٨]الطموح وحلم الثراء والإمكانات الجاذبة كانت رؤية شيرلي للمدينة ، لكن للصورة المشرقة وجه آخر أكثر قتامة حاولت شيرلي جاهدة أن تتلافاه . الوجه الآخر للصورة رسمه مواطنها "لاري" وكان سمته المميزة : الطمع ، والعنف ، والشراسة في التعامل مع الآخر ، أعني أصحاب الأرض من الهنود.[٥٩]

ماأرادته شيرلي هو رسم صورة تتميز إلى حد كبير بالإيجابية مقابل ماعرضته فادية من سلبيات، أي أنها أرادت طمس كثير من الحقائق فرسمت إطارا خارجيا سطحيا ، أفسره بالتصالح مع النفس بذكر ما ينفعها ضد ما يربك حساباتها ، إنه الحلم الأمريكي الذي يصدر صورة أمريكا القوية، الفتية ،الغنية ،المهيمنة صاحبة الكلمة العليا والأولى في العالم . الاختلاف العرقي بين الأمريكين خلق لديهم لونا من التشابك والتنازع / التنوع في الأفكار، ولقد أكسب بعضا منهم القدرة على مواجهة الحقائق بعيدا عن الأوهام . شيرلي لم تكن واهمة بل كانت تنتقي ما ترسم من الصورة ، ولأن للصورة وجه آخر ، ولأن هناك حرية الرأي والرأي المقابل نجد الصورة المقابلة لدى مواطنها " لاري ".

تتجلى ملامح الجانب الآخر من الصورة في الحديث عن الصورة الخفية للظلم الاجتماعي بمدينة سان فرانسيسكو التي تعد أيقونة الحضور الأمريكي في النص

---

[٥٨]أمريكانلي ص٢٥٤

[٥٩]الرواية ص ٢٥٦-٢٥٨ وقد دار حديثه حول استعراض عمليات الحرق والسرقة والاستلاب التي قام بها الوافدون وانتهت بالقضاء عليهم . كما أشار في الهامش إلى كتاب يتحدث عن ذلك الأمروهو: الأوبئة والتاريخ : المرض والسلطة والامبريالية –شلدون واتس. جامعة ييل ١٩٩٨م

الروائي ، فيما يظن كثيرون أن المجتمع الأمريكي فردوس على الأرض وهذا غير صحيح . تصدمنا، وتقرع آذاننا حكايات عن المرتبات الضئيلة للعمال وعدم وجود تأمينات لإعاشتهم وحمايتهم ، وصرف الأمريكان حوالي ٧٠% من المرتبات على المساكن التي يتنقلون منها سدى ثم تؤويهم الأرصفة آخر الأمر، وارتفاع معدلات البطالة والحالة المتردية للأمهات اللاتي بلا أزواج فيتركن أبناءهم فريسة للشوارع يسرقون ثم يدمنون المخدرات وعندما تكبر فتيات الشوارع يشتغلن بالدعارة. وهذا انعكاس لترد اجتماعي آخر وهو التفكك الأسرى والانحلال الأخلاقي والتحرر الذي يزيده الفقر سوءا .

الصورة القاتمة ربما تبدو غريبة علينا حين نطابق بين الأصل والصورة . فالصورة تمثل انعكاسا لأصل موجود " وتدور الصورة مع أصلها وجودا وعدما، فإن وجدت كان الأصل موجودا ، وإن انعدمت أو غابت كان الأصل منعدما أو غائبا"[٦٠]. الجانب الآخر إذا تصحيح لصورة مسبقة عن عالم مثالي لا اعوجاج فيه ، وما ورد على لسان المواطن الأمريكي " لاري" هو رؤية " تعتمد على عوامل عقلية وأخرى مادية؛ موضوعية وذاتية"[٦١].

الحوار:

رأي ورأي آخر ، صورة مشرقة وأخرى قاتمة ، تم تداولها في سيمنار كما وصفته آنفا حل عليه مناخ الحرية الفكرية هل مرد ذلك أن هناك عددا من الأمريكين مقابل طالبة وحيدة ذات أصول مصرية ؟ الإجابة : بلا ، فهناك من يدير الحلقة وهو الأستاذ المصري ، وهو قادر على التدخل بالحذف أو الإضافة . إلا أن مرجعيته وما خلفه وراءه من مشاكل وصعوبات جعلته يقف على مسافة واحدة من الجميع . وتركزت

[٦٠] محمود أبو رجب-فلسفة المرآة- دار المعارف،مصرط١ ١٩٩٤م ص ١٥

[٦١] عبد المجيد حنون-صورة الفرنسي في الرواية المغربية-ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر١٩٨٦م ص٨٢

ردوده وتعليقاته في طريقين، أحدهما في العلن أي الديالوج/ الحوار الدائر بين جميع الأطراف يحلل ويبرر ويوضح بعضا من خطوط الصورة ، والآخر مونولوجا/ داخليا ؛ حيث تنازعته أفكار شتي عن القاهرة وما لاقاه فيها وخلفه وراءه من صعوبات ومشاكل . ونميز الطريقين من خلال خطوط الرواية فقد كتب كل منهما بطريقة مختلفة عن الآخر للتمييز بينهما فالعلن كتب ببنط كبير والداخلي ببنط أصغر .

قضايا طارئة:

في خلاف حول مشروعية الحجاب، يقول السارد" الموضوع المفضل لديهم جميعا "[٦٢] والذي استنكرته الأمريكية شيرلي كلون من ألوان الهيمنة الأمريكية على معتقدات ومعتنقات الآخرين: " لكن ما لا أفهمه أو أستسيغه هو الحجاب."[٦٣]. لتنبري فادية المسلمة المحجبة في حدة لا تخطئها العين قائلة : "هو أحد فروض الدين الإسلامي . نصت عليه آية في القرآن"[٦٤]. جاء تدخل الأستاذ شكري علنا؛ وأشير هنا،أن الانتماء الديني له لم يتضح طوال الرواية فاسمه لم يذكر إلا بعد مرور عدد كبير من الصفحات وحين ذكر جاء مجردا من أية ألقاب أسرية ؛ مسلم ، مسيحي ، لا نعرف حتى كيفية تصنيف حديثه ، فهو مثلا لا يتفق ومسمى الفتح الإسلامي لمصر ويجعل له من الأسباب الاقتصادية قبل الدينية ، كما يتبدى لنا موقفه من الحجاب ومشروعيته "رفعت يدي معترضا وقلت: هذه قضية لم تحسم . فكثير من العلماء يؤكدون أن التعاليم الإسلامية الأساسية لا تنص عليه وفي رأي أنه ظاهرة تاريخية لا دينية ... وطالبتهم بقراءة مؤلفات المفكرة المغريبية المعاصرة فاطمة المرنيسي وخاصة كتابها الذي ذهبت فيه إلى أن الآية التي أشارت إلى الحجاب نزلت في ظرف خاص ..."[٦٥]. بل إنه يبدي

---

[٦٢] أمريكانلي ص ٢٣٧

[٦٣] السابق نفسه

[٦٤] السابق نفسه

[٦٥] الكتاب المشار إليه هو : الحريم السياسي : النبي والنساء - فاطمة المرنيسي - ترجمة عن الفرنسية عبد الهادي عباس – دار الحصاد .دمشق ١٩٩٣

عداء خفيا لصحابة رسول الله–صلى الله عليه وسلم– في وصفهم بالمتشددين في تلقيهم لآية الحجاب وكأنهم في حالة ترصد وتنمر بالمرأة المسلمة " كان الهدف من الآية إذن هو حماية نساء الرسول وتلقت دعما من المتشددين الصارمين أمثال "عمر بن الخطاب"وغالبية الذكور الذين تعرضت مكانتهم القبلية والاقتصادية ثم الذكورية للتهديد"[٦٦]

ولا أدري أي تهديد يشكله حجاب المرأة للمكانة القبلية، والاقتصادية ، والذكورية للرعيل الأول من الصحابة حتى يصبوا جام غضبهم على المرأة كما يري الأستاذ شكري ، أو كما يرى صنع الله إبراهيم الذي يعطي للحجاب بعدا جديدا غير مألوف ؛ حيث جعله وسيلة من وسائل الاحتجاج الاجتماعي الصامت مقابل ما يتعرض له المجتمع من قهر، وتكبيل للحريات ، وتكميم للأفواه – وهو ماتعرض له على المستوى الشخصي– فكان الحجاب المعنوي ساترا يتمترس خلفه أفراد المجتمع رجالا ونساء" وقلت الحقيقة أن الرجل المعاصر هو الذي تحجب! فقد اختار الانسحاب لنفسه ولأسرته من حياة معقدة ومربكة ، والارتداد إلى صورة عن ماضٍ أكثر بساطة وأيسر على الفهم... وبالنسبة للمرأة هو أكثر هذه الأشكال أمانا وقبولا من المجتمع ..."[٦٧]. مناقشة آراء صنع الله إبراهيم ليست موضوع البحث والتي تستأهل أن يفرد لها بحث كامل لمناقشتها وتفنيدها حيث تتبدى من آرائه التي ذكرها وكاد أن يمررها على أنها الحقيقة دون غيرها في سيمنار أغلبيته من غير المسلمين . أشير فقط إلى جزئية مااستحقت منه الانفعال – وهو الذي غلب عليه طابع الهدوء كما وصفت حديثه مسبقا– في حديثه عن التاريخ المصري في ظل الاحتلال الروماني وما واكبه من سلب ونهب من الرومان وكهنة آمون يقول" كان اليهود مشاركين في الاستغلال كما أن إلههم كان

[٦٦] أمريكانلي ص٣٣٩
[٦٧] أمريكانلي ص٢٣٩

قاصرا عليهم وحدهم ويبدو متعطشا للحرب والدماء في حين أن المسيح ومن بعده محمد. قاطعتني فادية بنبرة لوم: صلى الله عليه وسلم" قد يمر الموقف مع شخصية أخرى بتدارك الأمر فتصلي وتسلم دون مناقشة فالأمر بالصلاة والسلام واضحا لامناقشة ولا جدال فيه. إلا أن الأستاذ شكري/ صنع الله إبراهيم يبادرها قائلا ومجادلا:" بصي. هذه عبارة لازمة في الخطاب الديني لكن خطابنا هنا علمي بحت.... استأنفت الحديث خاطب المسيح ومحمد البشرية..."[٦٨]. اللهجة والأسلوب والإصرار يؤكدان قناعاته وأفكاره التي يؤمن بها بعيدا عن الثوابت المتعارف عليها .

وفي تدعيم لتردي الحالة الاقتصادية والمجتمعية للقاهرة كما ورد في دراسة فادية ، وما تعرض له المصريون من صعوبات ،"وتحملوا من تضحيات ، غير ملتفت لما سلب منه وما فرض عليه من قيود في إبداءالرأي يعلق قائلا " لكن الأعوام تمر لا تحمل معها سوى الوعد بمزيد من المعاناة..."[٦٩]

هذا عما دار من تعليقات علنية ، فهناك مايقابلها من تعليقات تدور بداخله دون إبدائها . في حديث فادية عن الأزمات الاجتماعية والفقر... والتناقض الكبير بين أبناء الشعب الواحد" بين أبراج سكنية ضخمة بألوان قبيحة تعلوها الديشات. تطل على مقابر سكنية تبرز منها هوائيات التليفزيون ... ويبدو المرور في حالة فوضى وشرطته في عجز كامل وهم يحاولون إيقاف السيارات بأيديهم بعد أن فشلت المصابيح الحمراء في ذلك."[٧٠] هي تتحدث عن صورة لم ترها بينما الأستاذ شكري والقادم من القاهرة ، والصورة غير غريبة عنه بل قريبة العهد به لا يعلق بكلمة ولكنه يقابلها بابتسامة "

[٦٨]أمريكانلي ص ٢٠٥
[٦٩]اأمريكانلي ص٢٤٠
[٧٠]أمريكانلي ص ٢٣٦

ابتسمت وأنا أتصورها تعوم في شوارع القاهرة بعد كاليفورنيا ذات المرور المنضبط وحقوق المشاة."[٧١]

من هنا وهناك : بين القاهرة وسان فرانسيسكو:

تشابهت كل من القاهرة وسان فرانسيسكو في ارتباطهما بطائر العقاب . القاهرة التي بنيت بأمر من الخليفة " المعز لدين الله" عام ٩٦٩ه لقائده جوهر الصقلي "ببناء مدينة تقهر الدنيا"[٧٢]، وقد أصاب في تسميته ، فقد تتابع عليها الغزاة والمتسلطون من جميع الأنحاء و الأجناس ، ولم يتمكن أحد من قهرها أو القضاء عليها وتحويل تبعيتها" وفيما يبدو لم يؤثر ذلك في قدرتها على الاستمرار والنمو حتى أصبحت واحدة من أكبر مدن العالم".[٧٣]

سان فرانسيسكو كذلك منذ إنشائها في سنة ١٧٧٦م تعرضت لكوارث عديدة لكنها تنهض من الرماد وقد تجددت تماما مثل طائر العنقاء . كما تتابع عليها الغزاة من جميع الأنحاء؛ أسبانيا ، انجلترا ، فرنسا ، ولم يؤثر ذلك في قدرتها أيضا على الاستمرار حتى أصبحت واحدة من كبريات مدن العالم ثراء وقوة .

ويختلفان في قدرة كل منهما قديما على البقاء دون الذوبان في الآخر " المصريون و الهنود الحمر (السكان الأصليين لسان فرانسيسكو) تعرضوا للغزو الخارجي. لكن المصريين– فيما يبدو– حافظوا على أنفسهم كتلة متماسكة بينما تم إفناء الهنود الحمر . فلماذا؟"[٧٤]سؤال طرحته دوريس الأمريكية كنتيجة ختامية للدراسة التي قدمت حول القاهرة وسان فرانسيسكو . وتكمن الإجابة في خاصية كل شعب منهما فقد تمتعت القاهرة / المصريون بخاصية الاستقرار حول نهر النيل وبناء مجتمع متماسك ،

[٧١] أمريكانلي ص٢٣٦
[٧٢]أمريكانلي ص٢٣٠
[٧٣]السابق
[٧٤]السابق ٢٦٢

ومتلاحم . بينما توزع الهنود الحمر على مائة شعب وأمة لا يجمع بينهم شيء أو يربط بينهم رابط . لقد كانوا جزرا منعزلة لا يدركون قيمة ما يملكون خاصة الأرض وما بباطنها من ثروات جذبت المغامرين والمستكشفين ومهدت لهم السبيل لإبادتهم والقضاء عليهم[٧٥] .

حرص صنع الله ابراهيم على رصد الصورة والمقابل لها في محاولة للتنفيس عن غضبه مما حدث له في الحياة الواقعية [٧٦]. استثمر كل لقطة لاحت له في سان فرانسيسكو ، ليستدعي ما يقابلها في القاهرة . مع الصفحات الأولى يستدعي فوضى المرور في القاهرة " غالبت رغبة مصرية صميمة في اقتحام المخاطر وكسر كل ممنوع وانتظرت حتى مرت السيارات القليلة . تأكدت من خلو الشارع من السيارات فعبرته دون أن أحفل بالإشارة الحمراء"[٧٧].النظام مقابل اللا نظام هذا ماالختمر في ذهنيته من وعن القاهرة .

بعيدا عن المرور هناك لقطة المكتبة وحسن المعاملة مع القراء" توقفت أمام حانوت كبير للصحف والخردوات... ولجت الحانوت وطفت بأرجائه . ثمة رواد قليلون يقلبون المجلات والصحف بل يقرؤنها كاملة دون أن يشتروا ودون أن ينهرهم أحد. تذكرت مكتبة "مدبولي"الشهيرة وسط القاهرة حيث يقف اثنان من صبيته أمامها إلى جوار الصحف والمجلات المبسوطة على الأرض . ويصيحان بلهجة تهديد" أيوه!"إذا ما تلكأ أحد أمامها أو هم بتناولها"[٧٨]. ثقافة متاحة للجميع . وثقافة تطلب مقدرة مادية للحصول عليها وإلا التجرد منها ؛ حيث الأوضاع لا تسمح برفاهية القراءة .

---

[٧٥]أمريكانلي بتصرف لما ورد في الصفحات من ص ٢٥٢-٢٦٠ كما ورد ذلك في عرض أحد الطلاب "سابك " لرواية الكاتب الأمريكي المعاصر "المور ليونارد " عنوانها " أربعون جلدة إلا جلدة واحد" صدرت عام ١٩٧٢م أي أنه شهد شاهد من أهلها .

[٧٦]كان يساريًا فاعتقل في عهد الرئيس الراحل جمال عبد الناصر لمدة خمسة أعوام) ١٩٦٤-١٩٥٩- شبكة الإنترنت - ويكيبيديا

[٧٧]أمريكانلي ص٧

[٧٨]أمريكانلي ص٨

بعيدا عن هذا وذاك توافر مشهد يجمع بين القاهرة وسان فرانسيسكو، لقد تساوت المدينتان في التعامل مع صحة المواطن والوجبات السريعة . المكسب الذي تحققه تلك المطاعم هنا وهناك هو الهدف الأسمى والمنشود " انبعثت روائح الأكل من المطاعم الصغيرة التي تمتلئ بالطلبة الجالسين قرب النوافذ يلتهمون أطباق السلاطة. وشممت رائحة زيت القلي المتكرر الاستخدام الذي عهدنه في شوارع القاهرة أمام محلات الطعمية"[٧٩].

تلك المشاهد المختزنة في الذاكرة والتي تختزل الوطن في لقطات سريعة وعابرة لم تستمر طويلا حيث تفرغ الأستاذ شكري تماما في ذكرياته النسائية –والتي وجدها جاذبة لحضور و انتباه الطلاب– وكذلك قراءاته التاريخية التي شكلت عقليته كدارس ومحاضر للتاريخ . فجعل يواصل رحلة البحث عن النفس و المرأة ، فيكشف لنا المسكوت عنه من خفايا الحياة . تلك الأحداث التي جعلها محورا لحديثه " ليست شيئا موروثا لدى الإنسان ، وإنما يتشكل خلال التفاعل مع البيئة التي يعيش فيها ابتداء من الطفولة وعبر مراحل النمو المختلفة. كما أن الوعي بالذات يبدأ ضيقا عند بداية حياته ، وينمو ويتطور باتساع البيئة التي يتعامل بها ومن خلال الخبرات الجزئية و المواقف التي يمر بهـــا الفرد أثناء محاولته للتكيف مـــع البيئة المحيطـــة به "[٨٠]. اقتحام التابو والحديث عن المسكوت عنه ، والخوض في موضوعات ما كان ليفعلها في جامعته الأصلية "هذه جامعة عريقة في التقاليد الديمقراطية. وأنت لمست بنفسك أنك يمكنك أن تقول أشياء هنا لا تجرؤ على الإشارة إليها في مصر"[٨١]. لعب صنع الله إبراهيم دور شهرزاد في رواية مغامراته النسائية في البوح بما بالإمكان وكتمان مالا

[٧٩] أمريكانلي ص ٣٠

[٨٠] قحطان أحمد الظاهر –مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق– دار وائل للنشر والتوزيع – الأردن ط١–٢٠٠٤ ص ٤٧

[٨١] أمريكانلي ص ١٧٣

يجب الإعلان عنه ، منتقيا حكاياته مازجا إياها بالشغف والإثارة مع قدرة فائقة وبراعة في التملص والتوقف عن الكلام .

خاتمة:

عقب هذه الرحلة ورصد ملامح الصورة التي رسمها صنع الله إبراهيم في رواية " أمريكانلي"ومعرفة طاقاتها الدلالية، وأبعادها الجمالية في رسم صورة للذات والآخر متمثلة ومختزلة في مدينتي القاهرة وسان فرانسيسكو، يمكن الوقوف على أبرز النتائج التي توصلت إليها القراءة على النحو التالي :

- الرواية من بداياتها إلى نهايتها ترجمة لذلك العنوان المكتنز والمكثف ، كيف تحول المجتمع الشرقي إلى أمريكانلي ، و تحول الروائي / السارد إلى أمري كان لي .
- حرص صنع الله ابراهيم في روايته "أمريكانلي" على جعل الذات مركزا للنص ومحورا للانطلاق السردي، محملة بالأبعاد التي تميزها عن غيرها : ماديا ومعنويا؛ جسديا، ونفسيا، وثقافيا، واجتماعيا، وتاريخيا. ورد ذلك في موضعين وكأنه يؤكد على أهميته وتفرده بتلك الحلقة البحثية :"إن حلقتنا قد تبدو غير مألوفة لأن موضوعها ليس حلقة معينة في التاريخ أو قضية من قضاياه الشائكة وإنما الموضوع هو التاريخ الشخصي للمحاضر." [٨٢]وكأنه وطن ذاته ، وما يتبع تلك القناعة من كتابة تاريخ الوطن وهذا ما يفعله ويؤكده :"أحب أن ألفت نظركم مرة أخرى إلى أن الهدف من هذا العرض ذي الطابع الذاتي هو تبيان العوامل المختلفة التي ساهمت في تكوين مؤرخ محدد"[٨٣]. لم يكن الغرض مجرد سيرة ذاتية فتلك لا تهم أحدا غير صاحبها ، بيد أن تاريخ الوطن يسترعي انتباه الآخرين مما " يتيح للطالب التعرف على عديد من القضايا التاريخية وخاصة المتعلقة بمصر والعالم

[٨٢]أمريكانلي ص ٣٣

[٨٣]أمريكانلي ص ١٣٣

العربي ، ويدربه على البحث"[٨٤]. وقد تحقق له ما أراد فيما قُدم من أوراق بحثية ونخص بالذكر الدراسة التي قدمت حول القاهرة وسان فرانسيسكو .

- مما يعاب على النص تعدي الإشاره للجنس ؛ كما كانت فى أغلب روايات صنع الله ابراهيم من التلميح الى التصريح الفج والممقوت في آن واحد .. فقد استغرق في ذكر مغامراته الجنسية وكأنها الغرض من الحلقة البحثية . لم يأخذ الجنس والاشاره له كعامل مساعد او جانبي فى الروايه ليظهر ما خفي من أحداث تاريخية لـــبلد معين أو نمط المعيشة فيها .. بل أصبح الجنس عامود الرواية الأساسي ينهار بإغفاله له أو السكوت عنه وإن كنت شعرت بحرجه في بعض المواقف فانصرف من العلن إلى الإضمار.
- تتطلب قراءة الرواية تركيزا تاما حتى لا تتفلت خيوطها . كثرة الموضوعات المتناولة وما صاحبها من تفسيرات هامشية جعلت قراءة الرواية غاية في الصعوبة بل تستلزم إعادة القراءة أكثر من مرة والتقلب بين صفحاتها لاستعادة المعلومة وضم القطع إلى بعضها بعضا لتحصل الفائدة و المنفعة والمتعة .
- تحتوي الرواية على حقائق ومستندات توثيقية تأتي في شكل تحضيرات يقوم بها الطلبة ، أو هوامش يدعم المؤلف بها مسروداته ، كما تلتصق الرواية بالواقع بشكل ملحوظ سواء في حبكتها الروائية أو شخصياتها أو أحداثها ومشكلاتها الرئيسية ، فهي تتحدث عن بلدان حقيقية وشخصيات حقيقة وأحداث حقيقية ، اختارها ، ورسمها بدقة متناهية ، وبذكاء شديد، ليس فيها من المتغير الروائي إلا اسم الأستاذ الجامعي " شكري " ووظيفته " أستاذ تاريخ."

أخيرا : " أمريكانلي" جمع بين سمات الرواية ، وسمات الكتاب التاريخي يطرح

[٨٤]أمريكانلي ص ٣٤

قضايا عدة للتفكير، مع الإشارة إلى المصادر الأساسية للمعرفة لمن يريد الاستزادة.

المصادر

صنع الله ابراهيم – أمريكانلي – دار المستقبل العربي ٢٠٠٣ط١

المراجع

١–أحمد درويش – مدخل إلى الأدب العربي الحديث –جامعة مصر الدولية ٢٠٠٨م

٢–أحمد درويش تجليات الفن القصصي بين الراوي والحاكي–لونجمان–القاهرة ٢٠٠٠م

٣–بيير برونيل – الوجيز في الأدب المقارن–ترجمة غسان السيد– مطبعة زيد بن ثابت،دمشق ١٩٩٩م

٤–حسام الخطيب –آفاق الأدب المقارن ـــ دار الفكر المعاصر١٩٩٢م

٥–حيدر محمود غيلان :

– الأدب المقارن ومتطلبات العصر– مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ٢٠٠٦م.

–الأدب المقارن ودور الأنساق الثقافية في تطور مفاهيمه واتجاهاته– مجلة دراسات يمنية ٢٠١١م

٦–درويش الشافعي–دليل الحقل والمختبرات في التحنيط وجمع العينات لطلبة المدارس والجامعات– دار الخليج للنشر والتوزيع ٢٠١٨ م

٧–روحي الخالدي– تاريخ علم الأدب عند الأفرنج والعرب وفكتور هوكو – مطبعة السعادة ، القاهرة، ١٩١٢.

٨– سعيد علوش–مدارس الأدب المقارن–دراسة منهجية ،المركز الثقافي العربي، بيروت،ط١، ١٩٨٧م

٩–شاكر عبد الحميد– الحلم والرمز والأسطورة–الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨م

١٠–عبد الحميد إبراهيم – الأدب المقارن من منظور الأدب العربي– نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، ١٩٩٧م

١١-عبد الحميد إبراهيم- الأدب المقارن من منظور الأدب العربي- نادي المنطقة الشرقية الأدبي، الدمام، ١٩٩٧م.

١٢-محمد غنيمي هلال - الأدب المقارن دار نهضة مصر للطبع والنشر والنشر، القاهرة ، ١٩٧٣م

١٣-عبد الرازق بلال- مدخل إلى عتبات النص- دار أفريقيا للنشر.الدار البضاء.المغرب ٢٠٠٠م

١٤-عبد المجيد حنون-صورة الفرنسي في الرواية المغربية-ديوان المطبوعات الجامعية،الجزائر١٩٨٦م

١٥-فاطمة المرنيسي -الحريم السياسي:النبي والنساء - ترجمة عن الفرنسية عبد الهادي عباس - دار الحصاد .دمشق ١٩٩٣

١٦-قحطان أحمد الظاهر-مفهوم الذات بين النظرية والتطبيق- دار وائل للنشر والتوزيع - الأردن ط١-٢٠٠٤

١٧-كلود بيشوا. أندريه م .روسو-الأدب المقارن -ترجمة :د أحمد عبد العزيز - مكتبة الأنجلو المصرية ٢٠٠١م

١٨-ماجدة حمود- مقاربات تطبيقية في الأدب المقارن -دراسة من منشورات اتحاد الكتاب العرب.٢٠٠٠م

١٩- محمد صابر عيد-سحر النص من أجنحة الشعر إلى أفق السرد، قراءات في المدونة الإبداعية لإبراهيم نصر- المؤسسة العربية للدراسات والنشر.بيروت ٢٠٠٨م

٢٠-محمد عبد الرحمن شعيب - الأدب المقارن، مسائله ومباحثه - مطبعة دار التأليف ، القاهرة، ١٩٦٩م

٢١-محمد عجينة-موسوعة أساطير العرب عن الجاهلية ودلالاتها- دار الفارابي:بيروت ١٩٩٤م

٢٢ -محمود أبو رجب-فلسفة المرآة- دار المعارف،مصرط١ ١٩٩٤م

٢٣-مصطفى عبد الغني -الاتجاه الإنساني في الرواية العربية- كتاب الرياض-مؤسسة اليمامة الصحفية٢٠٠٦م
٢٤-نذير العظمة – فضاءات الأدب المقارن – الهيئة العامة السورية للكتاب، دمشق،١٩٦٢م
مقالات :
١- خليل هنداوي – اشتغال العرب بالأدب المقارن – الرسالة ١٩٣٦م

٢-عبدالله ابراهيم "أمريكانلي" بين السيرة والسرد التسجيلي -الرياض٢٠٠٧م – العدد ١٤٢٧٦

٣- فخري أبو السعود- " في الأدب المقارن :الأثر الأجنبي في الأدبين العربي والأنجليزي عام 1936: مجلة الرسالة ، العد٢٠١ السنة الخامسة ، مايو ١٩٣٧م
٤- يعقوب صروف-الانتقاد – المقتطف-السنة الثانية عشر،الجزء٣ ديسمبر ١٨٨٧م
٥-محمد كمال سرحان الذات والآخر في رواية (حب في كوبنهاجن) مجلة جامعة الناصرة العدد السادس-المجلد الأول ٢٠١٥م
٦- نوافل يونس الحمداني -الصورولوجيا في السرد الروائي عند مهدي عيسى الصقر مجلة ديالي العدد٥٥. ٢٠١٢م

- المواقع الإليكترونية:

موقع ويكبيديا